سركون بولص

حامل الفانوس

في ليل الذئاب

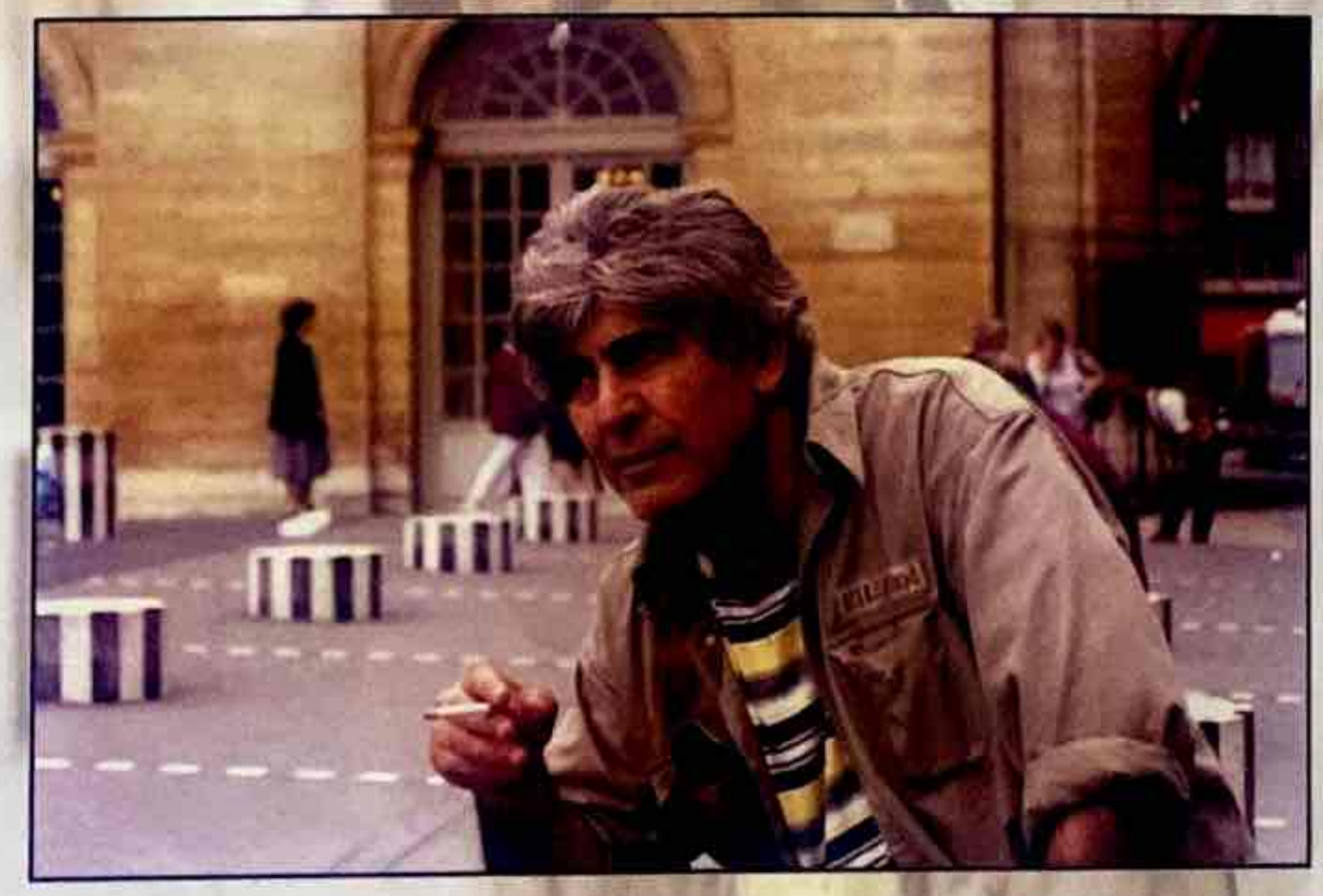

منشورات الجمل

شعر

ولد سركون بولص عام ١٩٤٤، بالقرب من مدينة الحبانية ـ العراق، أقام منذ عام ١٩٦٩ في سان فرانسيسكو ـ الولايات المتحدة الأميركية وتنقل بين دول عدة، توفي ببرلين عام ٢٠٠٧. صدر له: **الوصول إلى مدينة أين**، شعر (منشورات سارق النار، أثينا ١٩٨٥)؛ **الحياة قرب الأكروبول**، شعر (دار توبقال، الدار البيضاء ١٩٨٨). صدر له عن منشورات الجمل: **الأول والتالي**، شعر (كولونيا، ١٩٩٢)؛ **حامل الفانوس في ليل الذئاب**، شعر (بيروت ـ كولونيا ١٩٩٦)؛ **إذا كنت نائماً في مركب نوح**، شعر (بيروت ـ كولونيا ١٩٩٨)؛ **اتيل عدنان: هناك**، شعر، ترجمة (بيروت ـ كولونيا ٢٠٠٠)؛ **عظمة أخرى لكلب القبيلة**، شعر (بيروت ـ بغداد ٢٠٠٨)؛ **جبران خليل جبران: النبي**، ترجمة (بيروت ـ بغداد ٢٠٠٨)؛ **الوصول إلى مدينة أين**، شعر (بيروت ـ كولونيا ٢٠٠٣)؛ **الحياة قرب الأكروبول**، شعر (بيروت ـ بغداد ٢٠٠٨)؛ **هو شي منه: يوميات في السجن**، ترجمة (بيروت ـ بغداد ٢٠١١).

سركون بولص: حامل الفانوس في ليل الذئاب، شعر
الطبعة الأولى ١٩٩٦ ـ الطبعة الثانية ٢٠١٣
كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس
محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد ـ بيروت ٢٠١٣
تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ـ ٠١ ـ ٣٥٢٣٠٤
ص.ب: ١١٣ ـ ٥٤٣٨ بيروت ـ لبنان

© *Al-Kamel Verlag 1996*
Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

الأول

قارىء الكتاب

كل شيء حدث من قبل، وسيحدث ثانية

أوسيب ماندلشتام

(ترستيا)

ما كنتُ أقيمُ على الجمرِ لهُ
ما كنتُ أنام وحيداً من أجله وأحيا
فيَ عالمين بينهما كتاب، افتحهُ كأن في قدرتي
أن استعيد ذلك الشاطئ مرة أخرى
وأسبح ثانيةً في ذلك التيار.

هل أنا آخر الآتين إذاً
أتبع شمعةً إلى نهايتي، أم أنا أوّلُ من سلفوا
أكملَ دورته العكسيّةَ في الزمنِ، من قبلُ ومن بعد؟

وحدي في غابةٍ، والغابةُ أنا؟

لي من الشوك تاجٌ، زائري
الوفيّ الغراب (غراب إدغار آلان بو
الناعق: هيهات!) أنا الغابة في غابةٍ وحدي
ألتفّ على نفسي وليس لي
أن ابدأ أو انتهي، أنا ولدي وأبي
أرتقي درجاً
لا اعرف أين يؤدي عارفاً أن كل ساعةٍ

هي الأولى والأخيرة ـ ارتقي درجاً، واسمع صوتاً ورائي

«اسمعْني، اسمعني آخرَ مرة
وأدر وجهك نحوي».

مغامرة الفتى الهارب من القرية

أسرتْني شمسُ الظهيرة
ثم أطلق الحلمُ سراحي. . .
أطلقني في الظلام باتجاه الحقول ثانيةً
حيث ينامُ أبي
في بستانه المهجور، لأزور أمي
وأسلّم على أخوتي
لكن أخوتي
تشرّدوا في الحروبِ
وأميّ لم تكن في البيت، وبيتنا لم يكن هناك.

أتى الليل
ونفس الضفادع تنقّ حالمةً على حافّة البئر
تحت نفس النارنجة التي استسلمت لملاطفات القمر.

أتى الليل
ليل الضفادع وجنّة الجنادب
سَوزتي الطافحة في فراش استمنائي
على فخذي بنتٍ أرسلت عينيها إلى البعيد
إذا ما طرتُ بلا أجنحة، وطاردتُ شبحَ الملاك.
عبرت بي كتائبُ مقهورة تسحبُ راياتها
في الرمالِ، دعتني إلى كهفها ساحرةٌ
تخدشُ ذراعيها بأظافرها الطويلة.

سيَرٌ خبيئةٌ في العُشب
لن يقرأ أحدٌ أيّاً من تفاصيلها، أعراسُ
الفراشات في عواصم الندى، وللديدانِ تحت الأرض
ولائمُها، للصقور حروبُها في الهواء!.
نادتني الأشجارُ لأنام
وفي حلمي وجدتُ باباً بين الغابة والطريق
حيثُ جلستُ على صخرةٍ لأستريح
وألقي نظرةً أخيرةً ورائي.

كنتُ ظامئاً أحلمُ بالألَق الأسير في زجاجات الشراب

وامرأة نائمة قربَ سراجها في باب المدينة
فألقيتُ بحمْلي الخفيف على كتفي
وتبعتُ ضوءَ السراج.

بستان المهزبين على حدود «القائم» والصحراء

في المكان
الأخير من ارضي
ارضي التي سأتركها ورائي:
قريةٌ
نهارها رايةُ الحمّى
ليلها حافلٌ بالنجوم والعقارب
أكلتُ فيها خبزي لبضعة أيام
وفكرت طويلاً بالمجاعات
منتظراً شارة العبور من دليلي
إذا أتى، من يد الريح إذا سفّت رمالها
في الوجوه الملثّمة لقافلةٍ
تمرُّ، وعبر الموائد
تحت سقيفة مقهاها الوحيدة:

بينما أيديهم

تتبادلُ عباءات الحرير
وأشرطةَ الغناء ـ ساعاتٍ يدويّة فاخرة
صابوناً معطراً من الشام ـ يتسامر رجالُ الصحراء
حالمين أو صامتين كالذئابِ
ويشربون الشاي.

يروون
عن مكائدَ
تُحاك حولها
الأساطير:
شرطةٌ تحومُ، على طول الحدود
حول نقاط العبور، كثيفة كالذباب
مهرّبون لكل منهم أكثر من جواز للسفر
يمرقون في عروق الليل وسط بروق المسدّسات. .

تلهث كلابُ الرعاة في أجفّ السواقي
بألسنةٍ ورديّة خدّدها الظمأ.
حتى ظهور نجمة المساء فوق سطوح الطين
عندما ترصد العيون قامةً
تسري كالظلّ على درب التراب.

ترصدها العيون عندما
تبرد الرمالُ
وتخرج أرملة المهرّب القتيل من بيتها
قاصدةً بستاناً خذّرته الظهيرة
ما زال همسهُ بين أوراقه اليابسة
ينذاع عبر الرمال ويدعوها لتأتي إليه
في عتمة البستان
يدعوها كل مساءٍ لتأتي إليه
وتنام. .
نهداها قارورتان
سيحسو الليل النادمُ منهما
بعضَ الندى، وعيناها مسحورتان بالحجّ
إلى صحراء الندم والحيرة -

إلى أن أتاني
الدليل.

شهود على الضفاف

في البدء سمعنا الهدير . .

في البدء
قبل أن نرى
عندما اصطكّت ركَبُ الجبال وانهارت
سدّة العالم الخفيّة :
جاء هادراً
يحمل أبواب البيوت
جاء يحمل أشجاراً منزوعةً من جذورها
أعشاشَ اللقالق والتوابيت
عرباتٍ وخيولاً ـ
يحمل صندوقَ حارس تعلوه رايةٌ
دولابَ عروس له ثلاث مرايا
قبل إن نرى المهد
قبل أن نرى

المهدَ يجري على الأمواج
والمرات تسبحُ وراء المهد، عيناها
جديلتها الطافية.
من يوقف العالمَ عن الانجراف
أو يسدّ من أجلنا باب القيامة، بأية صخرة؟
لا أحد.
من يُعيد إلينا القامةَ التي تغيب
من يرفع المهد كالطائر من بين مخالب التنّين
أو يوصل إليه الأمّ الغريقة؟
لا أحد..
رجلٌ واحد ألقى بنفسه لاعناً في التيّار
تلقّاهُ النهرُ الهائج كأنه ذبيحة
صارع قليلاً، صاحَ مرةً
واختفى..

هذا ما رأيناهُ في صباح الفيضان
نحن الشهود على الضفاف.

شاي مع مؤيد الراوي

في مقهى تركيّ ببرلين بعد سقوط الجدار

أمامنا علبُ السجائر (تلك الذخيرة)..
من حولنا لغْط المهاجرين، صفْق الدومينو المتتالي
على رخام الموائد، ضوضاء كانت أليفةً ذات يوم ربّما
انبثقت منها مرةً أخرى
وسط الدخان، كلمةٌ ولدت هناك ولا تريد أن تموت هنا
إن لم نقلها نحنُ، من يقولها
ومن نحن إن لم نقلها..

لا عن الذي صارَ وكان، كيف يصيرُ
يكون، بل عن هذه الملعقة المدفونة في السُكّر
وعن هذا الفنجان. لا عن الجدار الذي يبيعون بقاياه
في «تشيك ـ بوينت تشارلي» حيث كانوا يتبادلون
الجواسيسَ وأسرارَ الشرقِ

والغرب بالأمس، بل عن هذه الجداريّة التي تواجهنا الآن
بأجساد حوريّاتٍ من أيام «الباب العالي»
يستلقين حالماتٍ في قوارب اللذة
على نهر شربهُ التاريخ
جرعةً واحدة.

لنقُل إنّنا رأينا جدراناً كثيرة
كيف تعلو وتنهار، كيف ترقص ذرّاتُ التراب
تحت حوافر مُهْرة المغوليّ في كلّ مكان، كيف يضحك
«النصر» قليلاً
ضحكته البلهاء في مرآة الخسارة قبل أن تنكسر
وتملأ كسورُها العالم، حيث نسير
ونلتقي في كل مرة.

شاحذ السكاكين

العالم فتحةٌ
تحرسها
كسورُ مرآة
على دكّة من الطين
وتعبرُ منها
مختلفُ
أشكال
الخليقة :
يأتي الجميعُ
ليدلفوا
إلى هذا الزقاق.

* *

يأتي دراويشُ

عاشوا زمناً في الكهوفِ
مع العقارب والثعابين، كلابٌ
تتبعُ
سيّاراتِ
موكب الزفاف. .
يأتي
الذاهبُ
ويذهبُ الآتي:
المتّهمُ
الشاهدُ
والقاضي.

* *

العالم
حمّالٌ يئنُ
تحت كيس الطحين
وهوَ
بائعُ الملحِ
وعازفُ الربابة
المتسوّلُ من باب لباب.

* *

هذه
الفتحةُ في ذاكرتي
عندما أتبعُ ظلاً
يأخذني
عبر المواسم
وأُصغي
إلى نغمةٍ شبه دفينة
تتردّدُ
في مكانٍ قصيٍّ
من نفسي . .
هذه الأبديّة البيضاء
التي تسبحُ في رأسي
هذا الغرابُ الذي
يأتي
ليغزو
بياضَها . .

* *

يغزوهُ
زاحفاً من بيتٍ

لبيتٍ في ذروة القيلولة
وليسَ
سوى طفلٍ
يلعبُ في الظلّ
وامرأة تقدّم العشب
للخروف
المقيّد إلى وتد
عندما تصدأ الدنيا
ويحلمُ
الصائمونَ في البيوت
من يدري بأيّةِ وليمةٍ
في أيّ عيد.

* *

يظهر
دون نذيرٍ
بوجهه الصارم في
فوّهة الزقاق
على ظهره
مِجْلَخةُ الجلد والحجر

وفوق عينيه
نظّارة أعمى، رجلاً
لكنّه
ختّالُ مآته
مسخٌ جائعٌ لمذاق الحديدِ
تقيّأتهُ الشمس..

* *

يظهرُ شاحذ السكاكين
في ملكوت الأشياء الصدئة
مثل نبوءة
نسيناها
ويقدحُ بين يديه
الحجر
ناعقاً للنائمينَ
بأنهُ جاءَ
جاءَ
ليشحذ السكاكين.

ملاحظات إلى السندباد من شيخ البحر

هل تعبتَ إذاً
ونحن لم نكد نبدأ المسيرة!
انس البحر، لا تفكر بالمراكب، قل وداعاً للتجارة.
أنا آخر رحلاتك وكنت أنا
أُولاها.
كل طريق سرتَ عليها
عبّدتها من أجلك بيديّ. .
كلّ سبيلٍ
أوصلكَ
إليّ.

وها أنت ذا تشكو.
ثقيلٌ على كتفيك يا سندباد؟
هذا لأنّ لي وزني
زائداً وزن الأبدية وأحتاجُ إلى رجليك لتحملاني

في طوافي
بين الليل والنهار ـ
أنا الذي اعرف كيف اقرأُ صمتكَ وأدري
انك تنوي أن تهربَ منّي
وتحلمُ في كل ليلة
بأنك تلقي صخرةً على رأسي
وترقص سكرانَ على أشلائي . .

لكنك
اذا أدلجتَ في الأجْمة من دوني
واستخْلكَ الليلُ حولك
وكنتَ وحدك
ستسمعُ في كلّ همسةٍ، هسّةَ أفعى
ترى العدوّ في عين الصديقِ
ولا تُلاقي أينما حللتَ
سوى السُمّ في شرابك
وتحت رجليك
المصيدة .

لا تحاول أن تهرب منّي
وانس البحر، قل وداعاً للتجارة .

لقد قطعتَ اليوم حبل انتظاري
ومنذ الآن يا سندبادُ
سوف تحملني على ظهرك القويّ كأننا واحدٌ
أنا وأنت، أنتنا، أنتَ
لنستكشفَ هذه الجزيرة.

الثاني

أخطاء الملاك

يظهر ملاك إذا تبعته خسرتَ كل شيء، إلا إذا تبعته حتى النهاية. . . حتى تلاقيه في كل طريق متلفعاً بأسماله المنسوجة من الأخطاء، يجثم الموت على كتفه مثل عُقاب غير عاديّ تنقاد فرائسه إليه محمولةً على نهر من الساعات، في جبلٍ نهاكَ عن صعوده كلُّ من لاقيته، في جبل ذهبتَ تريد ارتقاءَهُ! لكنك صحوتَ من نومك العميق في سفح من سفوحه، وكم أدهشك أنك ثانيةً عدت إلى وليمة الدنيا بمزيد من الشهية: الألم أعمقُ، لكنّ التحليقَ أعلى. .

حدود الإمكان

لماذا تتطلّعُ وراءكَ لحظةً
قبل الدخول، هل رأيت رداءَها
المسحور ينسلّ ثانيةً بين الأشجار؟
تضَعُ الكتاب
جانباً
في وسط الصفحة الأولى..
أيّ صوت تُصغي إليهِ
بين أصوات المساء لا يسمعُه سواك؟
تنظرُ مراراً إلى تقويم الجدار
أيّةُ صفْقةٍ مشبوهة تحلمُ بأن توقّعَ عليها
أيّ يانصيب
تأملُ أن تربح بطاقتَهُ، أية جوقة من الملائكة
ستحملُ إليكَ تلك البطاقة
فوق سقوفِ أيّ عالمٍ لم تطأهُ قدَماك..

المرأة التي كانت هنا منذ قليل

«ماذا قرأتَ
في وجه المرأة
التي كانت تأكلُ هنا منذ قليل؟
بماذا
أوحتْ إليك
لعبتُها الواضحةُ الخفيّة؟».

«إلهُ الغرائز، ذاك الذي
لا ينام، لا ينام أبداً
في سردابهِ العميق -
هذه رسولتهُ
حملت الينا رسالتَهُ
السهْلةَ القراءة
بأن الأيّامَ هنا، تدعو
والأسفار تنتظر الرحّالة

خصوصاً
عندما ترفع إلى فمها الشوكة
وهي تبتسمُ بعينيها
للسكّين» . .

يوم مكرّسٌ للمطر

صليلُ أسلحةٍ
تموتُ في ممالكَ من الطين
وقعُ المفاتيح في زنزانة يحرسها البحر
إنه المطر
يجعلني أذكرُ كلَّ ما نسيتُ
لأنسى بعض ما أريد. . .
هذا ما يفعله المطر.

لا تقتصدي في ذرْفهِ يا غيوم، بل اسكبيهِ
بوُفرةٍ وانسجيه خيمةً
ضافيةَ الأبعاد تكفي
لإيواء كلّ ضيوفي
كلّ امرأة هجرتُها أو هجَرتْني
كلّ مسخٍ أو ملاكٍ، كلّ نصر وهزيمة
كلّ خديعةٍ ما زالت، كلّ سكّينُها تصدأُ في ظهري.

لا شَيء يُغريني بالذَهابِ
إلى أي مكانٍ، لا أحدٌ أذهبُ إليهِ
لا أحد يأتي إليّ، لذا أفضّلُ اليومَ أن أشربَ وحدي
وأصغي بهدوءٍ إلى المطر.

تكفيني هذه الموسيقى
التي تشربها الخليقة بكل مساماتها
كإسفنجة ظمأى،
يكفيني
صوتٌ ضائعٌ تحملهُ إليَّ الريح
تكفيني ومضةُ برقٍ قد تكشف لي
أيُّ موكبٍ يتهيأُ للمثول أمامي
خلفَ هذا الستار الغريب الذي ينسجُه المطر.

ما نفعلهُ الآن

شيء ضائع بين التقاطيع
يطفو كطائر مقتول في بركة النظرة.

زوج تولّى، أمّ تموت
ابن ترينه في الحلم كلّ ليلة.

«كان ملاك البيت
ونوري الوحيد».

والآن تستيقظين على صوت طارقٍ
في بعض الليالي تحمله إليك
العاصفة...

البرق يخيط السماء بأسلاك من الفضّة

المطر يغسل النوافذ بماء المعجزات.

هذه الساعة التي ستُدنينا
أو تفرّقنا، أو تذكّرنا بأن ليلتنا هذه
قد تكون الأخيرة، ونعرف انها خسارة أخرى
سيعتاد عليها القلب مع الوقت.

فالوقت ذلك المبضع
في يد جرّاح مخبول سيعلّمنا ألاّ ننخدع بوهم الثبات:

«أقلّ ممّا يكفي، أكثر ممّا نحتاج».
أقل مما يكفي هذا الإرث الفائض من مكمنهِ
في صيحة الحبّ الأولى
أولى في كل مرّة.

أكثر مما نحتاج طعم الرغبة هذا
كما لم نذقه من قبل
لم نذقه من قبل..

وكلّ إطلالة على الهوّة خطوةٌ أخرى
في الطريق السالكةِ إلى الذروة:
ما نفعلهُ الآن.

غداً في الثالثة

في هدأة القيلولة
وجيراني الإغريق كلّهم نِيام
طَرْقَتُها على الباب، مشيتها الخجولة
وعيناها الراغبتان. . .
وجهها
وجهُ الحمامة
(تحت الريش، لبوءة!)
بعد الظهيرة عادةً، بين يومٍ وآخر
ذات صيفٍ بدا انه الفردوس: تبقى
حتى ظهور أول نجمةٍ
فوق سقوف أثينا عندما تفرّ من بين يديّ
إلى حياتها الأخرى، هديّةً
لا أدري أيّ إلهٍ
ظنّني جديراً
بنيْلها، أرسلَها إليّ.

وذاتَ يوم، ذات يوم
طرقتها على الباب أليفةٌ
كمشيتها، حجرٌ متوقَّع يسقط في بئر انتظاري
لكنَ حليبَ وجهها الشاحب
يجسّدُ عينَها المذعورة في زُرقة الهالات.

«سأُجهضهُ، أختي تعرفُ الطبيب. غداً في الثالثة.
لا تأتِ إذا لم تكن تريد.
سأذهبُ وحدي».

قطعنا الحلم نصفين
بشفرة المصيرِ، لنا نصفهُ
والبقيةُ للآخرينَ، ذات صيفٍ بدا
انّهُ الفردوس. . . أو غداً، غداً في الثالثة.

جَردُ العلاقة

(إليها . .)

هل كان الفرقُ سيغيّرنا
لو لم نجد هذه السدود حيث كنّا
نتوقّعُ أرحبَ الفضاءات؟ انظري
ما فعلتهُ الرغبةُ بنفسها، هذه النُدبةُ تحت ضلعي
تحتوي ليلاً بكاملهِ، وأنتِ:
أعرف أيةُ طريقٍ
سلكتها كلُّ طعنة نحو مركز الرحمات ـ
نُدوبكِ باللمس تعرفها أصابعي. .
أزحتُ عن وجهك قناعه أحياناً
على باب كهفك اسقطتُ كلّ جلودي.
ما تعلّمناهُ، جاءنا هكذا
من العالم، أشياءً طافيةً على وجه الغَمْر
لها لغةٌ بسيطةٌ يفهمها من أحبّوا

لغة تكفينا لنستمر في تلقّي ما يَكيلُه
لنا يومُنا التالي
من دون أسئلةٍ لا جواب عليها
في أيةِ حال: أجهلَ في انغمارنا من أن نأبه
بذنبنا أو براءتنا، نعرف كيف نطلّ
على أبعد ما فينا من حاجز الشرفة
متى نقيسُ الهوّةَ بأجنحةٍ
من اللُهاث، أيّ الثمار نقطفُ من الشجرة..
وهذا الذي شيّدناه ليلاً لتهدمهُ أيدينا
عند النهار، سوف نحملُه فينا كنضبٍ منيرٍ
أنوارُهُ خفيّةٌ على الآخرين.

كلّ المراكب هنا ترسو

إلى هذا، وحده هذا
وفي كل مرّة لأنه منحنا الضروريّ
إطلالةٌ منه تكفي
لنعرفَ أن الساعة التي لم نحسب
حسابَها، عارية من كل شيء سوى عقربيها
السائلين سُمّاً أو عسلاً
قد حانت
لئلا يسلم منها
حتى البعيدونَ أو الموتى
لكي توصلنا إلى هذا ـ
بينما الجيوش تزحفُ وتحترقُ البيوت.
إلى هذا الدور وليس ما نختارهُ ذاتَ ساعةٍ أخرى
مليئة كالبغيّ بمرتَجَع الليالي، بالموت حيثُ
كانت الحياة تضجّ بأعراسها
وما زلنا، نحيا رجّةَ الأمسِ

ونطيعُ، ما زلنا، مراسيمَ مزّقتها يدُ الظروفِ
الخؤونةُ، الموفورة المخالب. .
لكي يأتي الأمر إلى هذا:
ـ هذا ما غنمناه وإيّاه، هذا، الهزيمة
كلّ المراكب هنا ترسو، تابولا راسا، وفاتا مورغانا
لا شيء مما راهنّا به على حلمنا الأوّل
سيُغوِينا باقتحام العواصفِ ثانيةً
لأننا نأتي إلى هذا
لنحاكمَ الأحياءَ، ونرفع الدعوى على الموتى
مرةً فأخرى نأتي إلى هذا، إلى هذه الطريق
وليست أيةَ طريقٍ أخرى لم نعد قادرينَ
على أن نراها. .

لك وحدك

لأنها دائماً
تعودُ، هذه اللحظة
لا توأمَ لها في كل الأبديّة فهي لك،
لكَ وحدك، حميميةٌ كصوت همومك، غنيّةٌ
كتلك الهمومِ، متفرّعةً دائماً
في هموم أخرى لك تلقاءها
مهارةٌ خاصّة بك في استقراء العلامات!
تلك الومضةُ وسط الجبين
ذلك الانفجارُ في قلب الدقيقة. .
بعد أن تفرّق الضيوفُ
وانطوتْ آخر حفلة في ألبُومِ منسيّ
بعد أن سقطَ جدارُ برلين
بعد أن علا شخير البَربريّ
الملطّخ بالدم والنفط والويسكي
بين خرائب مدينةٍ، لنا، أخرى ـ

(نِيلت معبودةُ الملايين على الشاشة
ذهبَ المتفرّجونَ إلى بيوتهم وناموا. . .).
الآن وقد ذهب الآخرون
كلهم، ولن يعودوا
اذا كانت لديك أيّة أسئلةٍ
تريد طرحَها، أيّ رؤى ما زالت
تترنح سرّاً في رأسك الآن، اذا كانت هناك
أيّ ملاحظات أخرى
تريد ان تبديها لسيّد الكائنات في آخر لحظة
فلتذكرها لقارب اسمه «الراعي الصالح»
كلّما رنّحتهُ موجةٌ قادمة
فلتذكرها لقارب اسمه «اسبيرانزا»
كلما لبط الرصيف في هذا المرفأ الخالي،
لمرساةٍ يغطّيها الصدأُ والمُرجان
لتلك الفأس المنسيّة في جذع الشجرة الهرمة. .
وَشْوشْ الامواجَ
والريحُ تبشّر بعاصفةٍ وشيكة
قد يزوّدك صخبُها المتضاعف
بالردّ الذي تشتاقُ إلى سَماعهِ أُذناك!
أسألِ المومسَ المتخفيّة بالظلال في مدخل الفندق
تطلّع إلى الطفل الفرِحِ بقنّينة الحليب

في لوح الإعلانات

ما يفوق المائة بليون همبرغر
بيع عند مكدونالدز حتى الآن!

مادونا تمارسُ الحبَ
مع الشيطان. . اشتروا الفيديو

إشتر الفيديو. أو تابع سيرك في المطر
أو قِفْ هنا، واصغ قليلاً
إلى صرير اللافتة التي تتأرجحُ بجنونٍ
فوق بابِ بائعِ المعجزات.

طقوس الطبيعة

قادماً من محطة اخرى
كهذه تركتها
ورائي
بانتظار قطارٍ لا أريدهُ
أن يجيء: كم من الزمنِ، ساعاتٌ، قرون!
أرمقُ امرأةً تشربُ شيئاً
في احدى الزوايا
معها رجلٌ
سوف تودّعهُ بعدَ قليل.
هذا ما تقولهُ
زرقةُ عينيها المخضلّتين تحت
خصلاتها الذهبية
النافرة.
هذا ما تقوله

خطوطُ التماسّ في بوصلة المصائر.
هذا ما يقول
جدولُ اللقاءات والوداعات.
يقول
هذا الجدول السحريّ
أن اللقاء والوداع ما هما إلاّ
توأمان سياميّان تواءما أخيراً
في الجسد الواحد
وأنها تعرفُ كيف تُعرفني
بأنها عرفتْ
ما أن عرفْتُهُ، ما عرفتُ..
وهو أننا سنذهب معاً بعد ساعة
(معاً. بعد ساعة)
إلى بيتها في قرية قريبة.
سيَّارتها دافئةٌ
وهي تسوقُ، بسرعة.
كلُّ الجسور بيض تغطيها الثلوج.
غابةٌ تبدو، أفقٌ يغيب.
قرميدٌ، سقوف.

يُرينا
الأسفلتُ كم هو راغبٌ
في التلاشي
تحت عجلاتنا، وتصلّي الطريقُ من أجلنا
صلاةً قصيرة.

إلى أجل غير مسمّى

هكذا أردتكِ
بدءاً من اقدم احلامي في هذا المكان
بعينه، هذا الزمان بالذات ـ
شجرتي. كهفي الأمين.
مرقدُ مرساتي
إلى أجَلٍ غير مسمّى..
مباركةٌ
هذه القرية النائمة
وبوركنا نحن الذين لا ننام:
فراشنا على الأرض، راسخٌ
في مَطالنا
النبيذ والسجائر
نطوف على موجة الستيريو
جسداً إلى جسد مع الأفلاك.

نام «سيّد المغنّين». نام فاوست.
نام أهالي الراين.
نافذةٌ
والثلجُ غطّاها.
ريحٌ تعذّب مفاصلَ الباب.
«الرجلُ الذئب» في الخارج، يعوي..
دعيه يعوي، ضعي أسطوانة.
ضعي بوب ديلان
في «ملجأ من العاصفة»
ضعي رافي شانكار، سيّد السيتار
ليأخذنا بيديه إلى الهند
سنعبدُ الليلةَ نارها
ودفقةً دفقة نجري إلى المصبّ..
حبّنا وليمةٌ
لن يأتي إليها شاهدُ زور.
أسدلي الستائر
لئلاّ يرى انوارَنا الجيران.
الشرقُ شرقٌ والغربُ غربٌ. نحن واحدٌ. هذان عالمانا.

الحافّةُ أسرارُها

على الحافّة الهشّة التي نصلُ إليها وكنّا طيلة الوقت نسعى بكل ما فينا من تهوّر لبلوغها، تلك القشرة الخدّاعة من رقيق الجليد على فوهة أخدود ما أطولَ ما أغرانا في أحلامنا الشبقة بانتهاك ظلامهِ، هناك حيث الحياة تنكسر بين رجليكِ كأساً من كريستال عُذريتك التي لم يَصُنْها الزمن، نسيرُ ونترك آثارنا، نعرف أننا نمتحن المصير بكل فلذة.

الحافة تبقى. ندور في حلْقة اللحم على نفس المحور الثابت للوهم ونحاول ثانيةً، ومن جديد، جامحين أكثر في كل مرة وقد عبقت ريحُ الطقوس في الشرايين، بأنْ نُزيد قوّةَ الدفع في وجه الوعيد بالفناء، مُنزلَق الخوف والحمّى، عارفين أن القشرة قد تنكسرُ أو تذوب في أية لحظة.

نجازفُ بأنفاسٍ مكتومة تُداني الانفجار لنجرّبَ أن نرى شيئاً لم يرهُ من قبلُ أحدٌ سوانا.

الثالث

البادىء

«أن نبدأ، هذا كل ما هناك»

شيزاره بافيسي

يتركُ الضيوفُ
غباراً سحرياً على الكراسي
غيابُهم قارورةٌ ملأى بحبرٍ شفّاف.

الموقدُ البارد في الزاوية
يطقُّ مرّةً ليذكّرني بأنّ أسفاري
ضدّ الزمن، وليس لي أن أحمل الأشياء
على ظهري حتّى الأبديّة، أو أرفع هذا الميت
من إبطيه عن أدراج بيتي.

استيقظُ كلّ يوم
كالعائد من رحلةٍ طويلة.

في سقف الغرفة نقوشٌ لا تفصحُ عن شكلها النهائي.

ديوني
لا يمكنُ إيفاؤُها

لذلك أخبط البحر بكفّي لأوقظ سمكةً نائمة في الرمل
مدمدماً بكلمات آشورية ممّا قبل الزمان
وأبدأُ صباحي.

أبدأُ هذه اللعبة السريّة مع العالم
بانتظار ان يُسقط الصمتُ قطعة أخرى
من اللحم في صحني، ماسكاً قلبي بكمّاشةِ
لئلاّ ينتصر فيه العبدُ على الملاك.

إلى امرىء القيس في طريقه إلى الجحيم

لي جمرٌ
لهذه الليلة
في ثمّة مدفأةٍ أبسطُ نحوها يديّ
وأصغي إلى عاصفةٍ ترود في الظلام كضبعةٍ شبِقة
عويلّها الفاجعُ لم يعد يُطربني..
أصغي
لكن أسمع الصحراءَ تغنّي
وليس صهيل أمريكا المتعالي كألف حصان جريحٍ
من حولي، إلى عصر آخر سفّتهُ يدٌ قويّةٌ من الرمل
في ذلك الفم الفاغر للزمنِ حيث الأطلالُ
دائماً بانتظار
المناسبات
بسَقْط اللّوى. بين الدَخُول فحَوْمَلِ. انها دائماً هناك.

إنها دائماً أصواتٌ ومن التيه إلى التيه
تثرثر الريحُ في وديانا كامرأةٍ هرمة لنا بها علاقةٌ رحِيمة
ولا نريدها
أن تموت في الغرب كنّا أم في الشرق، نضربُ واحداً
بأسداس الثاني ونقول
«ضيّعني أبي صغيراً» أجل ضيّعني ولن أستريح
«اليوم خمرٌ، وغداً أمرٌ» تقول الريح
ولي خمر وجمر ومُعلّقةٌ
قد أهزِم بها جنياً يزورني في مثل هذه الساعة
في مثل هذه الساعة دوماً كأننا على موعدٍ
لا يقبل التأخير محمَّلاً بكل ضغائني
ليعلّمني أسرارَ السوادِ في سراديب سُويدائي
وهذا الغسق اللعين، المتكاثف ظلاً فظلاً ليعلم أنني
أحلم في آخر قطرةٍ ترشحُ من سَدولهِ
بأنواع الهموم، بأنواع الهموم!
بالرمال، بتيماء خيالي، وبك أنت أيضاً، بك
وبالمصير
أيها الملك الهارب من ذلك الوغْد
المنذر بن ماء السماء. .

ذلك الوغد الذي ليس اسماً يطاردنا حتى باب الجحيم
ذلك الاسم الأجوف كالطبل. ذلك الطاغية. ذلك
العبد.
ذلكَ الوغد، إنه دائماً هناك.

ذلك الظلّ الذي يحتلُ زاويةً في القلب ولن ينزاح
كزردك المسموم («هدية» من «صديقك» ملك الروم)
ـ إنه هناك.
ضربةُ الحتف من يد مطيّتهِ
عدوّنا الأمّي المتلهّف الأكثر عماءً من «ليل تمطّى بصلبهِ»
تلك الدودة المعلّقة من أسفل الإجاصة
في بستان عزلتنا الوارف حتى النهاية، ذلك
المخلبُ المدفون في لحم القوافي ولن، لن، لن ينزاح
يا امرأ القيس
لا أمام الانتصار ولا اللا انتصار، قد يسلب رجلاً
كلّ شيء
حتى ينتهي الرجلُ على الحصيرة..
لا جمرٌ

ولا خمرْ
ولا أمرُ.

هذا هو يومي

مكتوبٌ
على هذا الجدار
ورائي، على جبين الحاضر
المتهادي في هودجه المأجور، أنّ وليمةً اخرى
ستسكنها الريح، والتاريخ سيتعب يوماً
من النوم في هذه المجاري. .

على قسَمات المدينة
في رفوف الدخان المتلبّدِ حتى أعلى
سارية هناكَ
تتّضحُ الكتابةُ يوماً فيوماً. .
لنعرفَ أنّ أصنامنا راضيةٌ لا تغوزها القرابين.

في التواءة النظرِ، مكتوبٌ
ومكتوبٌ أيضاً في لفتة الغضبِ إلى تضاريس هذا

المشهد المستحيلِ، أنّ أياماً أخرى
وأزماناً
مختلفةً، أشدّ الاختلافِ
عن هذا الزمن الذليل، ستأتي..
بدليل كلّ آية مبذولةٍ
كضحكة الحشّاش حيا اللّه
بدليل أكثر من خيمةٍ نُصبت على جانب هذا الطريق
لآكل الجيفةِ والمرتزق الصغير..
هذا هو يومي.

سأجعلهُ شاهداً لي
نستنطق البدءَ بعد أن عرفنا النهاية
ولم تعد تغوينا سوى أبعد العتَبات
حيثما شكّ العقابُ مخالبهُ
في صدر الحمامة
حيثما هبّ شعرُ أرملةٍ في باب ضريح
حيثما فتح رجلٌ صندوقَ أحزانهِ
وألقى بالمفتاح إلى النهر.

لذا اقتربْ أكثر
أيها الحضور الذي لا أعرف ماذا أسمّيه

أريد أن أشرب نخبك ثانيةً
لكن أين كاسي
أريدك أن تشرب اليوم على مائدتي
لكي نتخاطب أو نضحك أو نبكي
لكنْ أيّةُ خمرةٍ أسقيك ـ

شرطُنا أن نتصالح عبر هاويةٍ
ميثاقنا جبريٌّ كالعلاقة بين الفأس والشجَرة.

سيّد المناخات

ليُذهشني سيّدُ المناخات، ليحيّرني
أكثر ممّا أنا محتار، حتيى قبل أن أقبل بعالم اليقظة
فاركاً ما زلتُ عينيّ: جمجمةٌ ألقت بها
عاصفةُ الأمس في حديقتي
لطائر ضخم أو حيوان صغير حيث تمشّيت هذا الصباح
محاذراً أن أخطو
على البزّاق الملتزّ بين مزهريّات الفخّار المحطمة
(في الغسق سيبحث عنه الأطفال بالفوانيس).
مخاضُ ليلة الأمس: كانت الطبيعة امرأةً
تصرخُ من آلام الطلق، واليوم:
هذا الوليد.

بطل وتنّين

من قريته المنسيّة بين تواريخ تسكن هامشَ التاريخ
بادئاً في مشارف نأمةٍ، سريّةٍ لا يسمعها سواه، مشى كالنائم في بخارٍ
مليء بأجساد الراقصين على إيقاع الطبول، وجاءَ ليقتلهُ، ويخلّصَ منه باقي الملكوت.

لكن بين عظام كم بطلٍ آخر لم يترك لنا حتى اسمَهُ منقوشاً على درعه الصدئ يتثاءبُ التنّين
فاتحاً شدقيه الرائعين لينفث في الجوّ رمادَ البراكين، في أيةِ مرآةٍ تُريه ولا تُريه

أيَّ سيفٍ يحملُ، أيّ زرّ يكبسُ، أيّ مفتاحٍ يُدير.

النصيحة

قال لي: انصحكَ ألاّ تؤخرَ الأمرَ. لا تلتفت إلى الوراء. غادرْ.

هذه النقطة في الزمن، هذه البقعة في الأرض، هذا الحاضر الذي تستيقظ فيه: غادر.

أنصحك أن تترك هذه الجثّة وشأنها لأنها ماتت بل بدأت تتعفّنُ منذ مدّة

ولن يفيدها الآن لا شانيل رقم ٥ ولا باكورابان. . .

نحن والتيّار

كلّما جاؤونا بطوقٍ آخر: كلّما جلجلَ سجّانُنا الساديُّ مفاتيحَهُ
سمعنا العالم يستيقظ من كوابيسه في رحم القصيدةِ المستعدّةِ للنزف دائماً
من أجل هذا اللقيط، وانجرفنا نحنُ والسجّانُ والسجنُ في قاربٍ واحدٍ مع التيّار.

هذا ما تعلمّناهُ في أوّل أحلامنا وآخرها (هذا كلّهُ حطبٌ لنارٍ قادمة..
في كل رغبة صادقة ما يكفي من الكبريت) ودائماً ننتظرُ الملاك الجاهلَ بالمسالك التي
قد تدلّه يوماً، حتى ولو بالصدفة إلينا، أو الحبيب الذي لا يستجيب: وجهٌ نعرفهُ
ولو في الاحلام، ذلك الذي، تلك التي، عند رأس ذلك الجسر
في منعطف المدينة التالي، بين ذراعي المرأة التالية.

كيف أعطينا لليل معنى (لو شئنا، لاستنزلنا لهُ آية)..
كيف تحوّل سؤالنا فجأة إلى جواب: رقصتنا لا تنتهي، ساعاتنا
مقدّسةٌ، في عيوننا أنباءٌ جديدة. خُطانا دلّتنا إلى الباب لكن أقدامنا ظلّت تسير.

طرق مختلفة إلى روما

ها هو سيّد بخيل
يحتفظ لنفسه في بستانه
بتلك الكمّثرات الناضجة الجميلة.

باشو: «طرقات ضيقة إلى الشمال البعيد»

الكفالاتُ لم تكن كلّها أمينة، كلّ الطرقات
لم تؤدّ إلى روما.. لا، لم تؤدّ كلها إلى روما.

بعد أن اكتشفنا السُمّ في الشراب
وانتهت حفلة المسوخ كما بدأت بشكليّة ساخرة

هجرنا عشيقتنا التي لا تتوبُ عن غدرها
وكان علينا أن نتخلّى حتى عن أشيائنا الأثيرة، القليلة
لأيّ قيصرٍ قرويٍّ له عددٌ كافٍ من الجنود.

لذلك ياسيّد الربح والخسارات
لذلك .

لذلك أيها المخلوق المثابر
والمُزايد بالمضاربات اليوميّة التي ترجُّ السوق

لذلك أيها القرد المدرّب الذي لا يكفّ عن إغوائي
بتجريب حظّي الأخير والرهان ثانيةً

على فرسٍ قد تكون هي الرابحة لعلّ وعسى -
نكايةً بحتميّة التقاويم التي تتبعها البقيّة

تنكيلاً بهذا الشيء الذي تعبدهُ، باسم ربٍّ لن تعرفهُ أبداً:
لا تداعب كيسَ مرارتي، لا تستغلّ طيبتي

لا تراوغ نظرتي المستقيمة:
أنا عارٍ تماماً بعد أن خسرت كلّ شيء

ولستُ ذاهباً إلى روما فروما ليست مدينتي!
أنا عارٍ وها هي يدي، إنها فارغةٌ

يمكنك أن تبصق فيها الحقيقة:
هذا الدولارُ الملوّثُ من كيس سيّدك البخيل.

هو والرسالة والجريدة

(عبور في مدينة أميركية ١٩٩٣)

شرب الرجلُ القهوة ومضى
يقرأ الجريدة.
النادلُ في تأملاته سارحٌ أو ربما
يحصي الكراسي
ويُصْغي إلى العاصفة..
ها إن عينيه تتسلقان سلّم العناوين:
- Los Angeles Still on Fire
- Will the Japanese Drive Us into the Sea?
وتهبطان إلى المهاوي، نفسُ الجرائم، ما من جديد!
فتح الرجلُ رسالةً
سلّها مرتعشاً من مظروفها، سوّى عويناته
ليقرأ
ثم توقفَ عن القراءة
بعد قليل.

خلف الزجاج امرأةٌ
تزوبع في تنّورتها الريح.
أطيافٌ مآتيّةٌ تهرب من نذير
تنهدّ وراءها
شجرة
تجلد جذعها بأغصانها على الرصيف.
مساءٌ آخر في مدينة أخرى
محتومة المصير، غادرها أكثرُ سكّانها
وباعت آخر أصنامها بعد أن فشلت معجزاتُه
في خفض نسبة البطالة
(هذا ما يقوله الغرافيتي
الذي يزيّن جدرانها..)
الليلُ يهبط وأنا مسافرٌ
أنهى قهوته وبعد لحظات
سيغادر هذه المدينة
لكنني رأيت كيف
توقّف الرجل بعد قليل
عن القراءة.
رفّت أهدابه بضعفٍ واضح واضطرب.
رفع عينيه الزائغتين إليّ
لكنه لم يرني.

لمّ جريدته، طوى الرسالة. دفعَ الحساب.
ثم فتح الرجل الباب وتلقّته العاصفة بين ذراعيها:
هو والرسالة والجريدة.

«شوبنغ مول» في كاليفورنيا

أهرامٌ
من البضائع
الجاهزة
(عرقُ البشريّة
المستحيلُ أحذيةً
وحقائب)
في ثكنةِ
جنودُها
جيشٌ من المستهلكين
تتوسطها
حديقة
لها نافورةٌ
تعلو
إلى السقف
ويلهو حولها

الأطفال
أشجارُها
الصناعيّة
تجهلُ
ما هو الماء
ولن
يأتي
إليها
يوماً
لا
البستانيُ
ولا الحطّاب.

تحوّلات الرجل العادي

أنا في النهار رجلٌ عاديٌّ
يؤدّي واجباته العادية دون أن يشتكي
كأي خروف في القطيع، لكنني في الليل
نسرٌ يعتلي الهضبة
وفريستي ترتاحُ تحت مخالبي.

ميشيما بين «بو» و«بُون»

«طالما سأموت لا بصفتي رجل أدب، وإنّما بصفتي عسكرياً خالصاً، أحبّ أن تضاف كلمة السيف ـ بو ـ إلى اسمي البوذي. وليس من المهم ان تظهر كلمة قلم ـ بُون ـ».

(من وصايا ميشيما، مؤلف «اعترافات قناع»، قبل انتحاره بالهاراكيري)

هذا

ما اعترف به

قناع يوكيو

ميشيما:

السيف

أصدق أنباءً

من الكتب

لكن الشمس

غداً

ستشرقُ كالمعتاد
لتكتب كلمةً
أخرى
في هذا الكتاب.

الشيوخ في الصين

ما أدهى
الشيوخ في الصين
(رأيت هذا
في فيلم
وثائقيّ عن تلك البلاد)
انهم
هواة
الطيور الأسيرة
يأخذون أقفاصها
كل صباح إلى المتنزّه العام
وما أن يعلّقوا
الكناريّ
في شجرة
حتى
يخيّل إليه

أنه حرّ أخيراً
فيبدأ بالغناء.
هكذا
يطربُ شيوخ في الصين
دون تكاليفَ
كبيرة.

أبعاد

العازفُ في ركنه
يعانق عوده بوداعةٍ كأنه يصغي
إلى بطن حبلى بينما أصابعه تعذّب الأوتار.

جسدُ الراقصة تحت الأضواء مستلّبٌ تماماً
يتلوّى في البُعد الرابع للنشوة
حيث لا تباع التذاكر..

نحن المتفرّجين نبقى هنا على الكراسي
وخشبة المسرح الخالية.

الذاهب

ذهبتَ
ولم تفتقد الكثيرين
لكنك حملت أصواتهم إلى كل مكان
أنت الذي ذهبتَ مرّةً
وأكثرَ من مرّة
أتيت.

انتظرناك

قد يكون أنك أصمّ لا تسمعُ شيئاً
قد يكون أنك أعمى لا ترانا، لعلّ وقتك لا يكفي
ربما قُتلتَ في الطريق، ربما كنتَ تموت
لكننا انتظرناك بما يكفي -
كم مرّة سمعنا المفتاح يدور وقلنا إنّك أتيت
لكنّك لم تأتِ . . .

قال الصمت

- ١ -

الانتظار وملفّاته التي لا شيء فيها، الرمل الذي لا يريد أثراً لقدم، والدم الذي يبني مدناً لا نراها. الطقس الذي ليس مناخاً، الراية الخفاقة على أعتاب متاهتها ـ يعرفني السائر في الظلام وأنت، تعرفني. من طفحَ كيلُه، من حالُه بالويل، يعرفني. هذا أنا، يسمّونني الصمت. أنا الصمت.

- ٢ -

هناك نقطة يصعب حقاً تجاوزها حيث الصمت وحده يلمّع نقود المرابي: العالم نهر وأنا في قاعه أمشي، على ركام جماجمه العالي، في ذلك المسقط من حتفي ـ لا الطبال المتحمس يزعجني، ولا نافخ المزمار يستدرّ انتباهي. .

بُناة الزقّورات

كانوا
أوّلَ الحالمين
جسّدوا شكلَ الحلم بالآجرّ
متلولباً نحو العلاء كأدراج العبادة.

عرفوا
أنّه طيفُ الغريبِ
يمرُّ، لا يُستعادُ سوى
على شكل زقّورةٍ ينتهي رأسُها
الحجريُّ في السحاب

وتعلّموا
أنّه بحرٌ
نرى على ساحلهِ
أباً في ثيابه البيض أحياناً

يومٌ، يومٌ إلينا منذ ألف سنةٍ

بانتظار سفينة.

تعويذة للعائش في الطوفان

في هذا الطوفان لا نوح ولا سفينة... إن كان لبعض الخوافي أن تنجلي لك الآن، فأنت صوتها القادم من بعيد إلى مكان انتظارها؛ أنت الذي أردت عري المغامرة وأحرقت الخريطة، نم الآن في بوّابة التنّين. العاصفة التي مرّت، أتلفت قلبك: لا تحاول ترميمه، إنه بيت مخرّب. المطاردة طالت وأنت لا تعرف كيف تصلّي. طفح الكنز في اليدين. عُبر النهر، مرّتين. عادت الحمامة لكن بقي الغراب. ذهبَ الصديق، أتى العدوّ...

وستحيا، من بعد أن يموت.

هذا الرداء بين أصابعي

إلى خالد المعالي

قدمٌ فأخرى
من نافذةٍ إلى باب
من جدار إلى سرير، قدمٌ فأخرى
من سيأتي؟
حاملاً أية أنباءٍ إليّ؟
بانتظار من أسيرُ في هذا
البيت الفارغ وحدي؟ بانتظار أيّ صوتٍ
يأتي ليكسوني بردائه؟
بانتظار ذلك
الإيقاع الذي سيُسلكني
كحبّات مسبحةٍ في خيطه الخفيّ
ذلك الصوت الذي يأتي ليكسوني بردائهِ

أسيرُ حافياً في هذا البيت
الفارغ وحدي.

بانتظار الكائن الآتي
عندما يلتقيني، رداؤُه الحمّى
ليشيّد معبدَه السفريّ من أنفاسي
ويبدأ العالم بالتحوّل من دمدمةٍ
الى صلاة.

أطراف نافذتي
تبيضّ بلمسة الفجر
فالفجر في رحِم السماء يدفشُ كالوليدِ
وهو يشعّ بماء الولادة...
كلُّ شيء
يفتح عينيه على هوّته المنيرة.

تنوء الأشياءُ
بأنفاسها، وأنا أسيرُ
في هذا البيت وحدي ـ

تنمو للدماغ أشواكٌ إبريّةُ الإضاءة.
هالةُ المصباح
تصبح ثقباً آمناً لتدجين الليل
بوسائل الخرافة
تبحث عنه
يدُ الخيّاط الأبديّ وتُومضُ الإبرة
قبل أن تخونه أجفانهُ الثقيلة
ويسقط وجهه إلى الأرض مع الرداء
أريد هذه الاشارة التي تعلّمني
المضيّ، وعوّدتني
على الانتظار لأسبح دائماً
في مائها، هذا الرداء بين أصابعي
هذه الرجفة التي
من أجلها أرضى ان آكل حجراً
من أجلها أن أجهل من أنتَ ومن هوَ
من أجلها أن أشهد حتى لهذا
الكائن المجهول الهوية
عندما يأمرني
بأن أغلق نافذتي، وأهجر بيتي

وأمشي
في طريقي.

سماء أكثر

نحتاجُ إلى سماء، الى
سماءٍ أكثر
الى سماء لن نبني بيتنا فيها
لكنها لنا وحدنا
الآن
والفكرةُ أغلقت
وهي في القمّة جناحيها
(ما من وضوح، لا مُثول)
الآن
ومركبنا يتجاهلُ الفَنار
(طاحونة القش
وراءنا
تؤرّثُ نارَ الصورة الأولى)
كأن هذا النهارَ بذاتهِ
قد يتلاشى

في أية لحظة
دون أن يترك أثراً
بعد أن
لم يبقَ أحد
لانجاز المهمّة
التي كنّا نعرفها ذات يوم
نحن وحدنا
لا أحدَ ليُكمل الحلقة
ليفهم القوى التي ينبغي دحرها
لا أحدٌ ليرى
هذه الخطة التي كان يبدو
أنها ينبغي، ينبغي أن تنفّذ مهما
كانت العوائق، أيّاً
كانت النتيجة.

ضياء

تخفي ضياءك عنّي
وراء ستائرَ لا تحصى أيّها الماضي
لكنّني أعرف أين دفنتَ اللؤلؤة وكيف بنيتَ من حولها
المدينة .

تقرير من الجبهة

أنا جنديٌّ
أنامُ
خلف
المتاريس
حالماً بزوجتي
وبيتي
لا
بوجه عدوّي
البائس
إذ
يموت.

ملاحظة من مسافر

عندما رأيتُ
الموتَ يتوضّأُ في النافورة
والناس من حولي يعبرون نياماً في الطُرقات
بدا أنّ أحلامي أهرامٌ من الرمل
تنهارُ أمام عينيّ
ولمحتُ نهاري يهربُ في الاتجاه المعاكس
بعيداً عن تلك المدينة الملعونة..

البدء نختارهُ
لكن النهاية تختارنا
وما من طريق سوى الطريق.

بيت حوّاء

عيناها
حين أضلّ
من تحتي
ترشدانني
بيتُها
اعمقُ صمتاً
من غابة
العالمُ
من حولنا
بحرٌ
(البشر لم يخلقوا)
وفي الحديقة
طائرٌ ليليٌّ غناؤه رتيبٌ
يواكبُ انحدارنا

من هاويةٍ
الى أخرى.

أريكة فيرونيكا الزرقاء

«كولونيا» باردة، طقسها رماد:
اليوم ثلجٌ، بالأمس ثلج وغداً بالتأكيد. . .
لكن الثلج جميل على الراين، والرماديّ لونٌ لا بأس بهِ
عندما تدلّك فيرونيكا عازفة الفلوت
إلى غرفتها القريبة من الجسر
لتسمعك شيئاً من فيفالدي، شيئاً
من باخ، وتفتح أريكتها الزرقاء
فإذا بها سرير.

شموئيل

أعرفُ أن شموئيل
سكران هذه الليلة بعد أن أفلت
من الوجوه التي تهمسُ له
وتكمن بانتظارهِ، في هذه المدينة المشمّرِة
في كل زاوية من زواياها
عن ذراعٍ
متلهّفةً للإطاحة، تجندلُه
كرأس اللهانة بسكّين بائع الخضار
بعد أن نسيَ أوراقَ اللجوءِ
في أيدي الجندرمة
لتقلّبها بتمهُّلٍ مقصودٍ على أحد
الجسور، في ريح «السين» مرةً أخرى.

هناك الآن سببٌ
لابتسامته المشحونةِ بالتمنّي

وذقنُهُ الحليقة تشقّ هواءَ سان جيرمان بشكيمة بخّار.
هناك الآن سببٌ لهزائمه الألف
كي تنتهي بنصرٍ صغير.
سببٌ للذهاب والمجيء، للبقاء
في بيتٍ مهجور، للخوف من الأفعى
التي تعيش في السرداب
وريادة أزقة خلفيّة تندلعُ فيها
قططٌ ضالّة، كالشراراتِ
بين قدميه المترنحتين في اللانهايات
من براميل الزبالة.
لو أن الآخرين عرفوا
لو أن العالم
أكثرُ أمانة، لكان هناك سببٌ
لكلّ مماطلةٍ
لكلّ أُكذوبةٍ ضروريّة ومتينة، لكلّ تراجعٍ جديد
أمامَ حتفٍ واضحٍ كالمرآة.

لو كانت هناك عينٌ
أو كاميرا سينمائية تراه
رغمَ ستار الظمأ الأبديّ، ورايات التهرُّبِ
والخسران، رغم النادل الناقم

وجَامةِ البار المكسورة، لباتَ واضحاً
أنّ شموئيل، ابنَ الحبّانيّةِ الشارد
وسليلَ الملوك الآشوريين
سكرانُ هذه الليلة.

سكران يحلمُ بأبراج الدم الضائع
عالياً فوق أهرام المنافي، أعلى
من زقّورات باريس، لا مَدىً، لا سَحابة
لا حمّى تضحكُ في عظامهِ
لا هياكلَ عظميّة أنيقة تدعوهُ من مداخل الأبواب.
لا معارك كلامية في بار «الأطلس» حتى الفجر
لا مشادّة بالأيدي والياقات
مع الصعلوك الفرنسيّ
الذي يراهنُ، ويخسرُ عادةً، على الخيول.
لا مترو أخير
يختفي من دونهِ في أروع الأنفاق.

لو عرفَ الآخرون سرّهُ
أو معنىً لحياتهِ، لو عرفوا القوى
المجهولة التي تعصفُ فيه لتدفَعهُ نحو أبواب السينمات
ولو كانت هناك

عينٌ أو كاميرا تراه، لمضى
على أيّة هُدنةٍ مواربةٍ بتوقيعه الصحيح
وتقيّد لمدّة ساعةٍ بكلّ بُنودها ـ أنا المنوّقِع أَدناه
شَمُوئيل، ابن الحبّانيّة الشارد
وسليل الملوك الآشوريين
سكرانُ هذه الليلة.

رجل يعبر التاريخ

أو ملاحظات إلى صاحب الملكوت (فيلم بلا نجوم)

إذا كان المجهول يشرق
كالوجه بين يديك
كلّ صباح، كلّ ليلة
من أنت
الى أين تمضي
لامتلاك ماذا
كيف تحيا
ومن أجل مَن تموت
إذا كنتَ
أنتَ
صاحبَ
الملكوت..

*

من أنا
لأشتري أقنعتي
من نفسي
بالعُملة الصعبة
في بورصة الأيّام
من أنا لأمشي طويلاً
حتى ألتقي
بآخَري
وأروي
ولست واحداً
(لساني
بُرج بابل)
لأقيّم معنى
السقوط والقيامة
في كلّ مرّة
بينما
أسرقُ حصّتي
من النار غارفاً بيديّ
من هذا
المستنقع المائر بظلّ ظلّي
وظلّ آخر قاتل يهرب

بين عواميد القصر
بعد أن
أفرغَ رصاصهُ
في جمجمة المؤرّخ الذي
لا تكفّ يدهُ
مع ذلك
عن
الكتابة .

*

أرفسُ النصّ الحجري
بقدمي الحافية :
خليّةٌ فائرة من النمل
بين جناحي طائرٍ
لن يطير ثانيةً .
في قناع الإمبراطور الذهبي
دودةُ القزّ تستحيلُ
الى فراشة .
يسكنُ الحيَّ
أمواتُه . تحت جلد الغزالة

يكمنُ وجهُ اللبوءة.
وكما للنهار
أجنّةُ ظلامه، فالليالي لها
شمسُها: كتابٌ أحرقهُ
المغولُ منذ قرونٍ
ما زال يحيا
بجمرةٍ
واحدة
وما الحرائق
سوى مقاطعَ من نشيدهِ
الذي يطربُ له
الموتى في مقاصيرهم، بين
صفحاته المتربة
وما القراءة
سوى قشرةٍ أوليّة
لعينٍ مؤرقةٍ تملأ شاشات
السينما سكوب
وسوف تنام ملء جفونها
بعد قليل.

❋

أيتها النار المفيدة استريحي
قليلاً
أيها الظلّ استدرْ
وأزحف إلى الوراء بدوني.

موسيقى في زقاق بغدادي

أيّانَ ترابطُ أو تهيمُ
لكَ تلك النغمة الأولى . .
في كلّ وصول، في كلّ مغادرةٍ
سيلقاك وجهها الحيّ على المدخل الباقي .
واذا سرتَ
وفي وجهك ريح، والريح معاكسةٌ
والموت وحدَهَ البديلُ
لتسمعها جانحةً بين العوالم حيث أنتَ
ذاهبٌ وآتٍ ـ
ألم تسمعها ذات ليلة
وأنت عابرٌ تحت شرفة
ما زال شوقك يُرسيها في قلب الطواف
ينفضها من تجاويف عودهِ عازفٌ ضريرٌ ـ
ذاتَ ليلة ملأى بالنجوم، ذاتَ بلادٍ؟

نعم سمعتُها ذات ليلة ملأى
بالنجومِ وأنا عابرٌ، عابر تحت شرفة
واليوم سمعتها من جديد..
أينما انتفضت أزمنةٌ
أينما سلخت جلدَها الحيّة
أينما التأمت أمسيةٌ على سرّها
من قلب تيّار التواريخ تأتي
لتُترعَ قلبي براووقٍ
لم يعد بإمكاني أن أستافَهُ وحدي!
قوسُها يرجفُ بين يديّ
لكن ريحها تحُني نظراتي
عندما تأتي راقصةٌ من بيت أبي
على ايقاع خساراتي
لتقول لي
أن أقامر على آخر فلس أملكهُ
وأعبدَ صوتها المسجون في كلّ خليّة.

إذا استطعتَ أن تدلّني
على أسرارها، إذا استطعت

أن تدلّني على آثار تلك الليلة
وأنامل ذلك العازف الخطير
إذا كنت تعرف
من سمعَ عنها خبراً
إذا شئت أن تنام معي
بين ذراعيها المليئتين بالتراب
وكنت تحمل منها علامة يا صديقي
ولو أكذوبةً، ولو نطفة
من زيتها السائل على هذا
الضلع المختار
إذاً لأعطيتك كل ما أملك من الفضّة
أو الذهب
لركعت بين يديك لحظةً
وقطعتُ هذا الحبل المفتول من الأيّام لأمشي
عارياً كالطفل إلى الوراء
وأسكن تلك الليلة
كأنّها أمّي.

بقيت مرساتي

في قاع تلك الليلة
عندما غمزت لي نجمةٌ
وانسرحت فوق جبيني نسمةٌ ليليّة
وعرفتُ بأصفى اليقين أنّني أبداً لن أموت.

غناء على إيقاع الطبلة والسيتار
لنصرت علي خان

الى عبدالقادر الجنابي الذي أسمعني إياه

يصلُ الصوتُ
الذي ربّته الديناميسُ ويدعوني..
حفيفُ العالم الآخر في غابة الليل، ليلِ ليليَ، يأتي
في آخر ساعة
ليكسرَ ختْم النعاس الهش.
ليقلّبَ أوراق تقويمي بأدقّ ما يتقنهُ الشرقُ
من تجسّدات اللوعة.
موظّفاً لمستَه القدريّةَ في مكان الجرح كإصبع الربّ
ويطيّرَ القفلَ عن الصُندوق
بسهمٍ واحدٍ من البرق!
أنينُ العبيد في أوطأ السراديب

ضحكاتُ الأمراءِ من أعلى الشرفات!
مشهدٌ أعرفُ سحر تفاصيله، أزمنةً
وأماكنُ أعرفها في صميمي
وكم زحفتُ على أعتابها أثناء كوابيسي
لكنني أرفض أن أستسلم لآلامها
السخيّةِ في هذه الساعة
وأربأ بنفسي
أن أعانق عالمها اليتيم الآن -
لذلك أيها الدلاّل الذي يرشدني
لألاقي تلك العروس (في أية نافذةٍ لم تعد هناك
تحت بقايا أيّ بيتٍ
أشعلت أصابعها العشر بانتظاري):
إذا كان حزنك مزدوجاً هكذا
إذا كان حزنك مزدوجاً، قل لي إذاً قل لي
قل لي أيّهما أقوى -
الحزنُ الذي يرفرفُ مذبوحاً
على ضربة السيتار ولا يموتُ، أم ذلك الحزن
الاضافيّ، ذلك الحزن
الاضافيّ، ذلك الدرويش الذي يقبعُ على ضَفّة الكنج
بانتظار النيرفانا
ذلك الضيفُ الذي جاء بلا سيفٍ على بيتي

لكنه مضى حاملاً رأسي؟
وكيف لي أن أنامَ هذه الليلة
أيا نُصْرتْ علي خان؟

هذه ليست أورفليس

(كلمات إلى جبران)

«وظلّ المصطفى، المختار الحبيب، الذي كان فجراً
لذاته، يترقّب عودة سفينته في مدينة أورفليس..»

جبران، «النبي»

بضربةٍ
من يد السيّد
بلحمةٍ في الشِغاف
من باب البيت
إلى الدوّامة
إذا بها
تمتدّ في ساحاتها المقفرة
هذه الأشياءُ، هذه
الأشياء يا

جبران
أنصاباً مبذولةً
لسلطة الوهم تُرسيها ظلالُها
في مدى رؤيتنا لحين
سرعانَ ما
تزولُ بغمضة عينٍ
في أوّل منعطفٍ يدلفُ اليهِ
عابرُ السبيل . .

❋

إذا به يأتي
ليطرق على بابنا ذاتَ ليلة
طرقته الواحدة
الأليفة
ذلك
العرّافُ
الأعمى (البصير؟)
المصير .

❋

إذا بنا هنا
نعيش، لكننا نحيا
هناك.
أعطني الناي
أو لا، لا تعطني الناي
سيّان أن أغنّي
أو لا أغنّي في هذا الهدير.
هنا تشتري المغنّي
بدولار
وهذه
ليست
أورفليس.

*

هنا بين الضحك
والنحيب
والروك والبلوز والجاز
بينما الموت يجول في غابة
الغرافيتي
حيث تقيمُ الفرائسُ احتفالاتها

الليلية الصاخبة
ويلبسُ العبيدُ تيجان الملوك
يستأنف النيوترون السالب تحليقهُ
في كلّ مدار، ويكبُر
حجمُ المصيدة.

*

الزائرُ

لم يعد يذكرُ
أسباب رحيلهِ
أو غايتَه من الزيارة.
(لعلّهُ
أبحرَ
باحثاً عن
أورفليس)..

*

رحلتنا ياسيّدي
بلا دليلِ

تستغرقُ ألفَ عام
وهذه ليست
ـ أكرر ـ
لست أورفليس.

❋

(أنا
«السابق»
و«المجنون» والراقصُ في
مركز الإعصار
من يدلّني
إلى
أورفليس؟).

دليل

عندما انسدّت في وجهي الطرقات
عرفتُ قوانين اللعبة لكنني لست نادماً على خسائري.

عندما انسدت في وجهي
ولم أجد لك أثراً لا هنا ولا هناك

تذكّرتُ أغنيتنا القديمة لكن ما جدوى الغناء لوحدي.

كلما وسّع الظلام حدوده مددت يدي أمامي
لألمس جدار النور، لحمك المتألق من الداخل، هالاتهِ

الحسّاسةَ تحت يدي، روحك المضطربة في مهبّ نفسي
عندما نزلتِ الدرج الحجريّ، وغبتِ

ولم تستديري

كلما عدتُ في الحلم إلى بلدتنا الأولى
وجدت رمالاً تكتب عليها يومياتها الريح.

من يقرأ هذا الكتاب؟
من يقرأ، وما فائدة القراءة..

أفي مهاوٍ كهذه نطارد وجهنا الأول
ونهدهد من كنّاه في ذراعي من أصبحنا..
«أياً كانت وجهة سيرك، عد في النهاية إليّ. جسدي
بلادك الأولى» قال صوتُها فيّ
بينما أطوف هنا وهناك.

ذهبتُ لأطرقَ على باب عرّاف
ذاع صيته في استقراء الخفايا حسب إعلانٍ قرأتهُ
في مجلة مصوّرة: قيل لي
انه طلّق السحر منذ أمدٍ، ومات.

ذهبتُ لأرى عطّار المحلّة في صيدليّة الزمان الأخيرة
لكنه اغلق دكّانه، ذات يومٍ، واختفى

لا أحدٌ يعلم أين، أو يدري
السبب...

كيف اختفيتِ، أين يمكن أن تكوني
وكنتِ دليلي.

الرابع

جاء وتحت مئزره سكّين

جاء لأنّ العرسَ كانَ
سيُقام في ذلك المساء، ليذبح الخروف
من ذلك المبنى
الواطئ في نهاية السوقِ، جاء
من ذلك المبنى الواطئ حيث يتصاعد
ثغاءُ الخراف
خلف الجدران في الليالي ويمشي
القصّابونَ بجزْماتٍ عاليةٍ
في بِركٍ باخرةٍ من الدماء ـ
جاء وتحت مئزرهِ
سكّينٌ، وسلسلةٌ حديديّة. .
ظهرَ من الباب الخلفيّ إلى باحة الدار
حيث الحَمَل الصغيرُ ينام
تحت الشجرة.

طارده قليلاً حول الشجرة
وهو يغنّي متغزّلاً، مُخفياً وراء ظهره السكّين:
أين المهربُ، كيف الفرارُ!
يا خروفي المسكين، لن تهربَ اليومَ منّي..
ثم طارده بين الكراسي حول مائدة الضيوف
حتى حاصره على الدكّة الطينيّة
كأنه يريد أن يأسُرَهُ
كما يأسر الثعبانُ عصفوراً، بعينيه:
اليمنى مطفأةٌ
تنظر باستعطافِ ذليلٍ
إلى الأعلى، واليسرى
تنحرف باتّجاه الأرض شزراءَ ومخبولة
لا ترفُ إلاّ نادراً كعين العُقاب.

وقال متندّراً عدّة مرات
عندما انتهى، بعد أن ألقى
في سطل الماء بالسكّينِ أخيراً
كأنها سيخٌ محمّى..
ذاهباً إلى مائدة الضيوف الخالية ليستريح
(مئزرهُ مفروشٌ على المائدة، حذاؤه
ثاوٍ على الأعشاب) ـ

قال الجزّارُ متندّراً عدّة مرات:

ـ ليس أشهى من لحمِ الحَمَل على النار.

لحم الحمَل على النارِ، وجرعةِ ماء

من تلك الجرّةِ الباردة

تروي الغَليل

في عزّ هذه الظهيرة.

وأشار بكأسه لأختي الصغيرة

مومئاً برأسه إلى جرّة الماء..

لأختي التي كانت تراقبُهُ

كغزالةٍ عصبيّةٍ من تحت الشجرة

واقفةً وحدها

بعيداً عن مَطالهِ

في هالةٍ من ثيابها البيض..

لكنّها تقدّمت غيرَ هيّابة إليهِ

وقبل أن تهربَ شاردةً من يديهِ

بصقت بنقمةٍ في الكأس.

حلم الحمّال على جسر القلعة

إلى جليل القيسي في كركوك

قيل إنّه حزنٌ
ينخرُ القلبَ كقطرِ تيزاب
ويجعله يحومُ حول بيتها كالطيفِ
لعلّهُ يحظى بمرآها، تطيحُ أعطافُها أمامَهُ مرةً أخرى
كبَاطيةٍ من النبيذ الغالي، كانزةً تحت العباءة ملذّاتِ
تسري فيه الرِعدةُ إن تخيّلها، يبكي
كلّما تذكّرها. .
بدأت تختلط أمامه الأشياء كخارطةٍ يتقرّاها مسافرٌ
محموم، يذكر الأمسَ أحياناً
كأن أحداثه ليست لهُ ـ
من دَعاهُ ليحمل بضاعتهُ، في أيّ الزوايا استدار
أو لم يستدر، في أيّ الطرقات سار.
هل كانت الشمسُ مشرقةً

أم كان يهطل المطرُ..

الإشاعةُ ساريةٌ، باحترامٍ ساخرٍ
يسمّونهُ الآغاً أو البيك الآن
يضحكون في لحاهُم من وراء ظهره عليهِ
كلّما مرّ ساهماً يغنّي:
«قلعنِنْ ديبنده
بير داش أولا يْدِم»
ليتني كنتُ حجَراً
في اسفل القلعة
ليتَ القلعةَ ظلّت عاليةً
وأنا في أساسها حجرٌ..
وقيل: «شايف اللّي ما ينشاف»
أو أنها أُعجبت بعضلاته المتينة
فاتحةً له، لمرّة يتيمة، سريرَها..
ولكن، كما يلمسُ الأعمى بمحجريهِ
رداءَ النبيِ، ويغزوهما النور للمرة الأولى
يومَ رآها، يوم توقّفت أمامهُ
عربةٌ - حوذيّها جارٌ لهُ
في الخان - ترجّلت منها سيّدةٌ
يتوّجُ رأسَها شعرٌ ذهبيٌ

كلّما ضربتهُ الشمسُ انهارتْ عيناهُ إلى داخلهِ
في إثرها خادمةٌ
أشارت إليهِ
بالاقتراب ـ
على رأس الجسر المؤدّي إلى قلعة كركوك
والمطلِّ على نهرها المشهور بالجفاف!
قلعتها المجَنْزرة بآلافِ
الأدراج تسلّقها مئات المرّات
حاملاً على ظهره البيوت
حيث النساءُ كإناث نسورٍ يتبرّجنَ في نوافذَ عاليةٍ
أو يتفرّجنَ على المارّةِ من تلك الأبراج.
كلُّ حبةٍ لها كيّال، وهذا هو موعدهُ..
شكراً أيها الحوذيّ الذي
أرسلته الأقدار، جازاك اللهُ، جازاك.
لكن لماذا اخترتني
وكيف أعودُ اليومَ إلى مكاني
الذي كان لي قبل أن أراك؟
ليت القلعة ظلّت عاليةً
ليتني لم أرَ التاج!
اتعويضاً إذاً
يا سيد الخسائر والأرباحِ

عن بقيّة أيّامنا البخيلة

ومن يحسب الفائدة

من يسدّد لنا الحساب؟

ليت القلعةَ . .

من؟

. . وأنا في أساسها حجرٌ.

نَقدَتْهُ الخادمةُ درهماً وهي تدفعه من فتحة الباب

حيث تعثّر مذهولاً يحدّقُ في يدهِ

وطبطبتْ على ظهره بكفّها المحنّاة

فارتفعَ الغبارُ من لبّادتهِ الثقيلة.

حامل الفانوس في ليل الذئاب

من جاءَ
في الليل يستدعي أبي؟
من الطارقُ بقبضتهِ على الباب قبيل الفجر
آتياً ليُقلق تهويمةَ طائر النوم المقيّدةِ أرجُلهُ
بحبالٍ ينسجها سيّد الحالمين، في تلك
الخفقة المذعورة من جناحيهِ
في تلك الساعة المليئة كعيني مَرْيَم بالزرقة
عندما تنام حتى الكلاب؟

الريحُ جاءت تستدعي أبي
صبيّ لاهثٌ ركضَ المسافةَ بلا توقُّفٍ جاء يستدعي أبي
عاملٌ مهمومٌ يطلُّ بوجهه الشائك من فتحة الباب:
أحملُ لهُ الفانوس، ويسبقنا ظلّه المترجرج على الجدران ـ
تحت إبطه منديله المليء بالأعشاب، مساحيق الفِطر
والنارَدين، بَصْلةُ خشخاش، قرنفلات يابسةٌ

لتهوية الكوابيس، لطرد الشياطين
من شقوق الجدران الداخلية، لإرساءِ
مركب الصرَع المتقاذَفِ من قبلِ أمواجٍ
غير مرئية، وكل علّة خفيّة أخرى
ما عدا «المكتوب على الجبين».

في جيبه علبةُ كبريت
ومخبسٌ يمرّر في فتحته المنديل
لفكّ أية عقدة مجهولة قد تسدّ طريق المعافاة.

في هالة الفانوس إذا تأرجحتْ
راسمةً حذْوةً من النور في الفضاء
وجهُ البومة قناعٌ طائرٌ يبرق في مرآة الظلام مرةً ويختفي -
كورَسٌ من الجنادب يزردُ النجومَ كالخَرَز
في حلقةٍ من الصليل الحادّ
آخرُ ذئب يطلق عواءهُ الختاميّ من جهة المقابر
وشرائح الصقيع في الغدران المتجمّدة كالمرايا
زجاجٌ مشجّرٌ، أرقُّ من الخبز الرقيق
يمكنُ كسرهُ بدعسةٍ خفيفة من كعب الحذاء.

الطفلُ الصارخ في الليل خوفاً

من زيارة الجنيّة، الأبلهُ الذي تزبدُ شفتاهُ
كلّما اكتملَ البدْر؛ الصفعة التي كالها للشاب
المصاب بصفراء اليرقان، تلك التي جعلتهُ
يدوّم كالخذروف
أمام أهله الذين هبّوا واجمينَ..
ثم عادوا ثانية إلى الجلوس.
زوجة الشمّاس التي تسير في نومها
لتزور زوجها النائم خلف سور المقبرة.

يدفعُ رأس الليل بيديه
في رحِم الظلام ليمنعه من الولادة
يأمر الموت بالرجوع صارخاً: «شمِّتْ بابابرونا روخِتْ
قحبة»(*)
شاهراً قبضتهُ وفيها الصليب ومسبحةُ الصلاة.

امرأةُ العامل استفاقت ذات صباحٍ
دون كوابيسَ مظلمةٍ تطاردها حتى في رابعة النهار.
الشاب الذي استعاد لونه جاء إلى بيتنا في صبيحة العيد
وبين ذراعيه حَملٌ صغير، كغريق عائد إلى البشرية من
عالم البحر.
شوهدت أرملة الشمّاس تغتابُ

زوجةَ الكاهن في باب الكنيسة من جديد
واستُدرج القمر الهائج من سمائه
إلى فخّه الآمن في كنف عباءةٍ سوداء
غطّى بها أبي
رأسَ الأبله الذي كفّ عن الارتجاف.
الطفل في مهده الهادئ، نام.
وكنتُ أحملُ الفانوس..

(*) بالآشورية: «باسم الأب والابن والروح القدس».

الفهرس

الأول ٥

قارىء الكتاب ٧

مغامرة الفتى الهارب من القرية ٩

بستان المهرّبين على حدود «القائم» والصحراء ١٢

شهود على الضفاف ١٥

شاي مع مؤيد الراوي ١٧

شاحذ السكاكين ١٩

ملاحظات إلى السندباد من شيخ البحر ٢٤

الثاني ٢٧

أخطاء الملاك ٢٩

حدود الإمكان ٣٠

المرأة التي كانت هنا منذ قليل ٣١

يوم مكرّسٌ للمطر ٣٣

ما نفعلهُ الآن ٣٥

غداً في الثالثة ٣٨
جَردُ العلاقة ٤٠
كلّ المراكب هنا ترسو ٤٢
لك وحدك ٤٤
طقوس الطبيعة ٤٧
إلى أجل غير مسمّى ٥٠
الحافّةُ أسرارُها ٥٢
الثالث ٥٣
البادىء ٥٥
إلى امرىء القيس في طريقه إلى الجحيم ٥٧
هذا هو يومي ٦١
سيّد المناخات ٦٤
بطل وتنّين ٦٥
النصيحة ٦٦
نحن والتيّار ٦٧
طرق مختلفة إلى روما ٦٩
هو والرسالة والجريدة ٧٢
«شوبنغ مول» في كاليفورنيا ٧٥
تحوّلات الرجل العادي ٧٧

ميشيما بين «بو» و«بُون» ٧٨
الشيوخ في الصين ٨٠
أبعاد ٨٢
الذاهب ٨٣
انتظرناك ٨٤
قال الصمت ٨٥
بُناة الزقّورات ٨٦
تعويذة للعائش في الطوفان ٨٨
هذا الرداء بين أصابعي ٨٩
سماء أكثر ٩٣
ضياء ٩٥
تقرير من الجبهة ٩٦
ملاحظة من مسافر ٩٧
بيت حوّاء ٩٨
أريكة فيرونيكا الزرقاء ١٠٠
شموئيل ١٠١
رجل يعبر التاريخ
أو ملاحظات إلى صاحب الملكوت (فيلم بلا نجوم) .. ١٠٥
موسيقى في زقاق بغدادي ١١٠

غناء على إيقاع الطبلة والسيتار ١١٤
هذه ليست أورفليس ١١٧
دليل ١٢٢
الرابع ١٢٥
جاء وتحت مئزره سكين ١٢٧
حلم الحمّال على جسر القلعة ١٣٠
حامل الفانوس في ليل الذئاب ١٣٤

هذا الكتاب

ربما كان سركون الشخص الوحيد الذي لم أكن لأجد موضوعاً آخر أتحدث فيه معه غير الشعر، وكأن العالم خُلق من الشعر وحده. كل ما عدا ذلك كان يعتبر شأناً ثانوياً لا قيمة كبيرة له. في كل مرة نلتقي فيها كنا نقرأ قصائدنا على بعضنا ونتحدث عن أهم الأعمال التي كنا قد اكتشفناها لتوّنا، وبالذات للشعراء والكتّاب الأميركيين والإنكليز الذين كنا نتابع أعمالهم وإنجازاتهم بكل حرارة الأدب التي كانت وحدها تشكل معنى حياتنا.

فاضل العزاوي

أعرف مَسْكناً واحداً لسركون بولص هو اللغة. ولعلّ هذا ما جعله في ظنّي، قبل أن ألتقيه وبعد أن التقيته، شخصاً من المعاني. لن تعرفه جيّداً مهما حاولت ولكن يسعك على الدوام أن تحاول تفسيره.

بسام حجار

أحسب أن سركون بولص بين شعراء القصيدة الراهنة هو أقرب الشعراء إليَّ. والحق أنني ما إن قرأت قصائده في مواقف حتى ذهلت. كانت هذه واحدة من اللحظات التي نشعر فيها بشرارة الشعر تخترقنا. إنها اكتشاف أكيد. لم يتوقف سركون عن إدهاشنا. كانت عمارته الشعرية ذات أعالٍ وسفوح. وفي أعاليه قول للأعالي وفي سفوحه قول للسفوح. لا بدَّ أننا كنا أمام أحد أنضج رجالنا وأكثرهم تجربة وأقربهم إلى مثال الشاعر.

عباس بيضون

عدسة: صموئيل شمعون